طهينة مكلخ ومقاصد وكانه الامبراطور ترك العوايد والرسوم الصينية وامر بعدم اجراها من طرف
السفرة الروسيين اما بسبب شدة نفور التاتار عنها او بسبب مجاورة الدولتان لبعضهما وكانت
الاعمال السياسية في الديوان الصيني عدوانية في السر فتولد منها في الحال سفر السفير الروسي من
باكين وترك فيها دولنغ في صفة نايب للسفير فحصل لجلالة الامبراطور من ذلك غضب شديد
وكل فرصة كانت تلوح لهذا النايب عند مقابلة الامبراطور يرى منه حالة الغضب ويستقبح لم منه اكراما
من الديوان ثم تولد عند دولنغ من الاساءة والغضب الذي صار عرضة له ان مقامه في باكين تولد
منه عداوة وكراهة شديدة عند الديوان الامبراطوري والامة الصينية والمعاهدة التي كانت تقررت
في خصوص القافلة السنوية نظر اليها الامة بعين الرداءة واخيرا ابطل امرها بواسطة الامبراطور
ودفع الخطف والبغض وحتى النهب من طرف الاهالي والحكام مع غض نظر الحكومة في ذلك والمواد التي
كانت عطيت تامينا للتجار والخدم الذين كانوا مرتبين للسفير الروسي صرف النظر عنها وحتى المبالغ
المستحق دفعها ما دفعت واقام دولنغ في باكين في حالة احسن نوعا من اسير مدة سنوات كمستخف
ومضض وملاراة ودولنغ الواقع عليه من السفاهة وقلة الادب في المعاملة سحب نفسه مع القافلة
الروسية السنوية وتوجه الى بلاده ومن بعدها ما قبلت الحكومة الصينية واخير غيره من بعده جبار
من المستحيل على الروسيا ان تنوب لنفسها شخص اخر من الامة الروسية او رجل ذي عظمة وشهامة
زيادة عن الرجل الذي كان مجتهدا الى ذلك الوقت على معاضدة مصالحها في الصين الان عظمة
وثباته ما قاد الروسيا بفايدة مقدر مليح واعتبر الامبراطور والامة طول اقامته وكلمة في
صفة جاسوس واستدعائه يثران غضب الصينيين على فوره وعرض دولنغ على حكومته ان كافة
الاشغال في المستقبل تجارية كانت او غيرها يلزم نقلها على الحدود فمن ثم صارت اشغال
الروسيين على الحدود مقصورة في الانتقام والاخذ بالثار وفتحت المنازعات القديمة التي كان
حصل الفصل فيها بمعاهدة سنة ١٦٨٥ مرة اخرى واغتنم الروسيون لانفسهم بواسطة النهب
والسلب الذي وقع منهم في الاراضي والبلاد الصينية كل ما كان القوافل خسرته من منافعها وارباحها
التجارية او ما خسره سفيرهم من الشرف في باكين وفي سنة ١٧٢٧ بعد الميلاد عزمت القيصرة
كاترينة الاولى على تمام ما لم ينجح فيه بطرس وصممت رأيا ان تكون دار السفارة الروسية في باكين
مركز كنايسي صرفا في الظاهر وارسلت سفيرا فوق العادة من اجل المخابرة في عقد معاهدة
من اجل هذا الصدد وبما انه ذلك كان من الامور المحبوبة الصادقة فاجيبت القيصرة فيما
رغبته وصارت السفارة الروسية مأوى لبعض قسس وطلبة من العوام في شان تعليم اللسان
الصيني وتقررت شروط هذا في معاهدة سنة [illegible] فبواسطة هذا المركز صار للحكومة الروسية طاقة
كافية في تيسرها الحصول على معلومات دقيقة ومضبوطة بكافة الاعمال العمومية الجارية في الديوان
الامبراطوري الصيني وعوايد واوامر ومنشورات الديوان التاتاري وهيئة العائلة العمومية للمملكة
وعقود اولاد الشمس والقمر على ظهور انفسهم للزايرين سيما من الروسيين وبما ان هولاء المبعوثين
او الطلبة كان جاري استبدالهم كل سنة فاستحوذت الروسية على عدد وافر من الاشخاص المهذبين
الذين لهم دراية باللسان الصيني وعوايد الديوان الامبراطوري وغير ذلك من الاعمال والهيئات
ثم تولد من كثرة المنازعات والحروب في الحدود غضب شديد عند الصينيين حتى انهم اوقفوا
طرق معاملاتهم مع الروسيا ومنعوها بالكلية وصار في المركز الكنايسي الروسي في باكين
منازعات مثل منازعات الحدود وما بقي شي سوى الخوف من فتح حرب مع الروسيا نتيجة الامبراطور
غير انها بما ان المتنفذين الروسيين جاعلين تمام استمرار الصلح وسيلة في الحرب وفي سنة ١٨٠٦ اجلت
سفينتان روسيتان في مكاو منافا للمعاهدات الموجودة الماضية بمنع التجارة الروسية في البحر
فاستنج لهاتين السفينتين بنزول بحريتها في البحر او نزول شي من مشحوناتها وفي نفس هذه
السنة وصل سفير من الروسيا الى باكين من طريق السور الاكبر ومع ابتداء هذا التاريخ
ارتكن الروسيون على غارات النقدى في الاستحواذ على الاراضي وجعلوها وسايط كبرى في
استحصالهم على فوايد ومنافع في الصين وفي حوزتها وتجرأوا في ذلك اعظم التجرؤ ثم استحصلوا
اخيرا في سنة ١٨٥٨ على معاهدة بواسطتها فتحوا تجارتهم في البحر على حسب القاعدة القديمة
الثابتة التي كانت جارية عند اقوى الامم البحرية وكانت الاحوال التي اجرتها الروسيا بشأن

بشأن هذه المنافع على التدريج جدا وكانت رسايس اعمالهم بعيدة عن الافكار في تلك الازمان
الماضية والان صارت الامم الغربية جميعها على دراية تامة من نتايج اعمالها الكبيرة الجارية في
اسيا الشرقية حتى تتم مقاصدها في استحواذها على الهند الانكليزية ثم نقول ان المملكة البريطانية في
الهند وفي الشرق لا يمكن تيسر المقصود على فهم موقعها ولا المنتظر منها او درايتها بالوحدة التاريخية
والمطروحات السياسية ما لم يحصل فهم الموقع الحقيقي لمقصد الروسيا وشوكتها وهيئة قدرتها وهي انه مع
استحواذها على سواحل او حنفتي نهر امور وجودة الميناء والمرافى الواقعة على ساحل المحيط الباسيفيكي
والقلوع والمعاقل والحصون المنشية في طول الحد الصيني فانها في موقع عظيم الشوكة الباقي الان انه من
الممكن تخللها فيه وارتباكها بواسطة المملكة الصينية والامم الغربية من اوربا الداخلة معها في علاقات
تجارية وفي الجهة المقابلة لذلك من اسيا مع المعلوم ان الحدود الافغانية للهند البريطانية الموجودة
الان في حالة هدو وراحة يمكن في اي وقت من الاوقات وقوع قلاقل وارتباكات فيها بدسايس روسية
من طريق فارس فان هذه المملكة من جهة ارتباطها الديني او الملي والمحلي بافغانستان وامراسيا
الوسطى يمكنها تقوية وحض عدة من القبايل المتوحشة واهل الباس من خيل وفرسان الجهات الواقعة
في طول خط الحدود الهندية البريطانية نعم ولو انه من المحقق انه بواسطة الحركات والاجراءات التي
تخص من العمارات البحرية والاساطيل البحرية والقوى العسكرية الانكليزية ممكن وقوع الفزع والخوف
والنزل في فارس على الدوام الا انه من قبل وقوع مثل هذه الحركات لابد من وقوع اخطار ومضار
مهولة ومع ما فيه فان فتوح الروسيا لمملكة فارس غير منتشر الان وقوعه ما دامت فرانسا وانكلتره
ناظرتان بانه من السياسة والحزم اتحادهما سوية في معاضدة فارس كما فعلتا في دوام بقا المملكة
التركية فلو استحوذت روسيا على فارس الحالية فانه ممكنها تهديد الهند من سواحل البحر الاحمر ومن
الحدود الافغانية على الدوام ومن المحتمل انه لو هاج حرب بين انكلتره وروسيا في شان المملكة
الهندية الاسيوية فربما تشتبك فيه عموم الدنيا مع بعضها ولقد ذكرنا في الكتاب السادس والعشرين
من الجزء الرابع المشتمل على تاريخ الروسيا ما فيه الكفاية فليراجع هناك من اراد الوقوف على تاريخ
الروسيا وفي ما ذكرناه هنا كفاية والله اعلم

مختصر القول على البرتغاليين والفلمنكيين في الجهات الهندية من سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد

من الذين عندهم همة وحاسية في مطالعة التواريخ من يحب دراستها
بالتفصيل والشرح الكافي حتى يكون له دراية وخبرة بدقايق الحوادث
والاخبار التاريخية من دون وجه اختصاري ومنهم من يحب مطالعتها
باقوال وجيزة وحكايات مختصرة غير مملة ولا مطولة فمن ثم ذكرنا فيما سبق شروح
مطولة في شان الامم البرتقالية والفلنكية في الجهات الشرقية الهندية والان وجب علينا ان
نذكر هنا وهو محل خاتمة هذا الباب ملخص القول على توطن الامم الاوروباوية في الجهات الهندية
من سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد الى سنة ١٧٠٠ فاقول وعلى الله التوكل والقبول ان المسلمين الذين
اغاروا في غزواتهم وحروبهم على الهند دخلوها من الجهة الشمالية الغربية والذين فتحوها من
المسيحيين اي عباد الاله المصلوب جاؤا اليها من البحر من الجهة الجنوبية وانه من عصر اسكندر الاكبر
المقدوني الى عصر واسكو داجمة البرتغالي ما كان لاوروبا معاملات مباشرة مع الشرق الا قليلا
جدا فجلبت اليها اخبار السياحين وارباب الاسفار حكايات وقصص تتعلق بشان مملكة قوية
الشوكة ذات اموال وثروات وافرة لكن كان الوصول الى هذه المملكة من طريق البحر في عالم الرؤيا
وطريق الوصول اليها من البر صحاري شاسعة وقبايل همجية بربرية حربية حايلة بينها وبين اوروبا
نعم ان التجارة ما حصل فيها عطل او توقيف بالكلية من ابتداء ما حلت المداين الكبيرة الايطاليانية
الواقعة على البحر الابيض المتوسط وتاجرت في المواني والمرافى الشرقية ثم اتفق في القرن السادس
عشر ان وجود الهند عند الاوروباويين ارض وجدوها جديدا جذبت قلوب الامم اليها جذبا قويا
حتى قاموا من غفلتهم واستيقظوا بحركات دينية كما كانت العادة الجارية في ذلك الوقت وحرارة
وحدة في عمل استكشافات جديدة وسافر كريستوف كلمب في سنة ١٤٩٢ بعد الميلاد الى الجهة
الغربية تحت حماية الاعلام الاسبانية في طلب الهند ووراء المحيط الاطلنطيقي ما كان معلوما مكتوبة
الى الخاقان الاكبر صاحب التاتار فوجد في سفرته امريقة بدل الهند
واسكو داجمة سنة ١٤٩٨
وفي سنة ١٤٩٨ بعد الميلاد سافر من لسبون عاصمة المملكة البرتقالية سفرة تحت قيادة واسكو داجمة

Copyright © King Saud University